



استغلت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون موضوع الانتخابات في روسيا، لتهم فلاديمير بوتين بتزوير النتائج لمصلحته وإضعاف شعبية منافسيه السياسيين. كذلك وظفت التظاهرات الضخمة التي حملت ألوان الشبان إلى الساحات العامة مطالبة بإعادة الانتخاب واستقالة رئيس الحكومة بوتين ورئيس الجمهورية ديمتري ميدفيديف.

وبدلاً من أن يتصدى وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف للرد على اتهامات تزوير الانتخابات... ركز في دفاعه على إدانة الدول الغربية وأساليب تعاطيها مع الملف السوري.

واعتبر لافروف أن الولايات المتحدة بالتعاون مع حلفائها الأوروبيين، تقوم بتحريض المعارضة السورية بهدف التسبب بكارثة إنسانية دفعاً لتدخل خارجي. وعليه وصف الضغط المتواصل بأنه موقف «لا أخلاقي».

هذا، وكان المندوب الروسي في مجلس الأمن، بالتنسيق مع المندوب الصيني، قد استخدما «الفیتو» لإسقاط مشروع قرار إدانة سوريا. لهذا رأى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، أن الموقف الروسي يطيل أمد معاناة الشعب السوري الذي خسر في عشرة أشهر أكثر من خمسة آلاف قتيل.

في حال استمرت الولايات المتحدة في تشجيع قوى المعارضة الداخلية، فإن بوتين سيضطر إلى نقض الاتفاق الذي عقده مع أوباما حول تحديد شروط التعاون. أي الشروط التي وضعها رئيس روسيا كقاعدة لتنظيم التعاون بين البلدين.

وتتلخص هذه الشروط بثلاثة:

أولاً: أن تكتف واشنطن عن التدخل في شؤون النظام الذي أرسى بوتين دعائمه عقب سقوط يلتزن. **ثانياً:** لا تتعاطى الولايات المتحدة - أو أي دولة أخرى - في الأجزاء التي كانت في السابق تابعة للاتحاد السوفيتي.

ثالثاً: أن تعرف الإدارة الأمريكية بمكانة روسيا الدولية، وتعتبرها قوة عظمى متساوية لها في التأثير والقدرة.

إدارة أوباما تتهم بوتين بنقض هذا الاتفاق لأنه في نظرها أيد نظام الرئيس بشار الأسد، واستخدم تحالفه مع سوريا وإيران لمواجهة مواقف الأسرة الدولية الداعمة له «الربيع العربي». لذلك أرسل حاملة الطائرات «كوزنتسوف» إلى المياه الإقليمية السورية كنوع من التحدي لتحالف شمال الأطلسي. ومثل هذه الإجراءات، في نظر القيادة الأطلسية، تشكل عودة سريعة إلى مناخات الحرب الباردة. خصوصاً بعدما أعلنت موسكو عن إنشاء اتحاد جمركي اقتصادي يضم روسيا وكازاخستان وبيلاروسيا.

وقد وعد الرئيس ديمتري ميدفيديف بتوسيع الاتحاد كي يشمل دول آسيا الوسطى. ومعنى هذا أن المرحلة المقبلة ستشهد ولادة قوة جديدة بقيادة روسيا تضم دول آسيا الوسطى الغنية بالثروات كالنفط والمناجم والمطلة على بحر قزوين.

يقول المراقبون: «إن الوفاق الأميركي الروسي تتصدع عقب زيارة بوتين طهران عام 2007م. وكان بتلك الزيارة يسجل سابقة لأول رئيس روسي يزور طهران منذ اجتماع ستالين في هذه العاصمة بروزفلت وترشل». وبسبب عزلة إيران وضغوط العقوبات الغربية، احتفل الرئيس أحمدي نجاد بضيوفه على نحو غير مألف. وقد وصف بوتين جاره الجنوبي بأنه يمثل سوقاً

وعلى رغم اعتراض الدول الغربية، فإن بوتين وقع عقوداً ببلايين الدولارات ثمن صفقات عسكرية لإيران، إضافة إلى تعهد بتنفيذ مفاعل «بوشهر». وعندما اعرض الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي على تفعيل المفاعلات الإيرانية، أبلغه بوتين بأن من حق نجاد تطوير طاقة نووية سلمية.

الرد الغاضب من قبل بوتين على انتقاد الوزيرة كلينتون، كان له ما يبرره في نظر رئيس الحكومة الروسية. وهو يتطلع إلى أداء بوش وأوباما كسياسة أميركية منهجية للمس بنفوذه. ففي عام 2005م زار ديك تشيني ليتوانيا، حيث ألقى خطاباً هاجم فيه بوتين شخصياً لعدم وجود ديمقراطية في بلاده.

بعد الحرب الأهلية في جورجيا، قام نائب الرئيس الحالي جو بايدن بزيارة هذه الدولة المتاخمة لروسيا، ووعدها بالدعم السياسي والعسكري لمواجهة تسلط الجارة الكبرى.

في أحد اللقاءات السياسية بين أوباما وبوتين، حاول الزعيم الروسي إنشاء علاقة وثيقة مع الرئيس الأميركي من طريق إبراز الفارق بين نظام الاتحاد السوفياتي والنظام الذي يعمل بوتين على نشره. وقال له: «إن النظام الشيوعي السابق نشر عقيدته على حساب مصالح أميركا المركزية». وأظهر له أن خلافاتهما الحالية تبقى في حدود المصالح القابلة للتسوية. ويبدو أن أوباما لم يأخذ بهذه النصيحة، بدليل أنه ظل يتعامل مع العهد الجديد بطريقة عدائية لا تختلف عن تعامل ألينهاور وكينيدي ونيكسون في عهود ستالين وخروتشيف وبريجنيف.

ولكن خصوم بوتين لا يتفقون معه حول هذا الاستنتاج لاعتقادهم بأن روسيا في عهده تخلت عن دورها السابق كدولة تدعم حركات التحرر وتناصر الجماهير الشعبية. والشاهد على ذلك أن حزب «روسيا الموحدة» ناهض حركة «الربيع العربي» وأيد بقاء القذافي. ولما حصل الاعتراف المتأخر بالمجلس الانتقالي الليبي، أعلن ممثلو شركة النفط الغاز الوطنية الليبية أن روسيا والصين قد لا تحصلان على عقود جديدة جراء دعمهما نظام القذافي.

ومثلاً تعثرت موسكو في حسم موضوع ليبيا، فهي حالياً تظهر بعض التعثر والارتباك في موضوع الدفاع عن الرئيس بشار الأسد. علماً أن الوزير لافروف لم يخف قلقه من رفض الدول الغربية ممارسة الضغط المطلوب على الجانب المتطرف والمسلح في المعارضة. وشدد في مؤتمره الصحفي على الحاجة إلى معالجة الأزمة السورية من خلال المبادرة العربية، ومن دون إندارات متواصلة للقيادة في دمشق.

وأكّد لافروف أن بلاده تعارض فرض عقوبات ضد سوريا، «لأن التجارب علمتنا أن مثل هذه العقوبات لا تحقق النتائج المرجوة».

والمعروف أن روسيا ترتبط مع سوريا بعقود ضخمة أبرزها في مجال التسلح. وقد ألغت موسكو ديون سوريا البالغة عشرة بلايين دولار، مقابل عقد صفة تقدّم إلى تطوير سلاح الطيران والصواريخ. ولكن هذا لم يمنع إبعاد سفيري روسيا في ليبيا ومصر، كما لم يمنع لافروف من تقليد موقف إيران الداعية إلى تلبية المطالب المشروعة للمحتاجين السوريين، وإلى العدول عن سياسة إراقة الدماء.

يجمع الدبلوماسيون في موسكو على القول إن بوتين سيضطر إلى مراجعة مواقفه السابقة المتصلبة، واعتماد دبلوماسية أكثر مرونة من الدبلوماسية الصارمة التي يشرف على تنفيذها الثلاثي: لافروف، وبريخودكا، وأوشاكوف. والدافع إلى هذا التغيير بحسب المراقبين حاجة بوتين إلى الرئاسة لدوره الثالثة يحقق خاللها أحلامه. واللافت أن رئيس الحكومة بدأ يتصرف كرئيس جمهورية منذ أعلن شريكه في المسرحية، ميدفيديف، ترشيحه لانتخابات آذار (مارس) المقبل. ومعنى هذا أن فترة التغيير المطلوب تحقيقها عبر شهرين فقط، قد لا تكون كافية لإقناع الشعب بأن الإنجازات التي تمت في عهده تبرر لجهازه الانتخابي ما اقترفه من تجاوزات. علماً أن آلاف المتظاهرين رددوا شعارات طالبت برحيله من الكرملين، والقضاء على

حكم «حزب اللصوص» الذي فاز بـ 238 مقعداً من أصل 450 في مجلس الدوما.

كتب غاري كاسباروف -رئيس جمعية دعاة الديمقراطية، وبطل لعبة الشطرنج سابقاً- مقالة في جريدة «التايمز» اللندنية، دعا فيها الغرب إلى تأييد الشعب في إسقاط الحاكم الذي استخدم التسلط والتزوير للحفاظ على مكاسبه.

ومثل هذا الاقتراح قابله الحزب الحاكم باتهام الولايات المتحدة وحلفائها بالتدخل في شؤون روسيا الداخلية. علمًا أن «جبل الإنترنط» في ليبيا ومصر وسوريا، ليس بحاجة إلى تدخل خارجي كي يعبر عن مواقفه الجريئة.

بعض كتاب سيرة حياة بوتين لا يأملون خيراً في المرحلة المقبلة، كونه استخدم العنف للتخلص من منافسيه وخصومه. وبما أنه وصل إلى الحكم من مركز الاستخبارات (كي جي بي)، فإن تراجعه عن سياساته قد يبدو صعباً. لذلك يتوقع دعاة التغيير أن يقدم على اتخاذ خطوات حازمة بحق مستشاريه الذين سيضحي بهم لإنقاذ حكمه. في حين يرى خصومه أن هذا الإخراج لم يعد ينطلي على المتظاهرين الذين قرروا إسقاطه في الشارع من الآن حتى موعد انتخابات الرئاسة في آذار.

الملاحظ أن الشعب الروسي تعرف إلى ثورة الألوان التي عصفت بجورجيا وأوكرانيا وكيرغستان. وهو حالياً يحمل اللون الأبيض كرمز لموسم الثلوج الذي يغطي شوارع المدن الروسية ومنازلها. وقد تم توزيع الأشرطة البيضاء على المحتجين بغرض التدليل على لون «الثورة البيضاء» التي يحملونها ضد بوتين وحزبه. واللون الأبيض يخالف اللون الأحمر الذي تميزت به ثورة لينين وتروتسكي وستالين، والتي أقامت نظاماً استمر سبعين سنة. وبما أن بوتين ولد من رحم تلك الثورة، وتولى مهماتها في برلين، فإن شعوره بخسارة «الإمبراطورية» قد يدفعه إلى القيام بمحاكمة عسكرية كالتي قام بها رئيس الـ «كي جي بي» ضد غورباتشوف. عندئذ تدخل يلتسن لإنقاذ «الثورة على الثورة». ومثل هذا الوضع قد يتكرر إذا واصلت الدول الغربية تأجيج المشاعر ضده، الأمر الذي يشجعه على سحق المتظاهرين مثلاً فعل القيسير نيكولا في بداية الثورة.

المفكر الألماني ألكسندر راهر -كاتب سيرتي غورباتشوف وبوتين- يقول: «إن الروس أجبروا على تبني العقيدة الشيوعية مدة طويلة من الزمن». ولما انهار ذلك النظام، بنوا النموذج الرأسمالي الديمقراطي. ولكن هذه النقلة النوعية لم ترسخ في أذهانهم كنموذج وطني خاص منبثق من دورهم الريادي، لذلك من المتوقع أن يكون التغيير صعباً ودموياً، لأن أحفاد إيفان الرهيب وستالين، لا يقبلون بأقل من القبضة الفولاذية شعاراً لحكم أكبر دولة مساحة في العالم!

المصدر: موقع السوريون نت

المصادر: